

## متن العقيدة السنوسية

المسماه أُم البراهين

تأليف

الإمام محمد بن يوسف السنوسي الحسني - رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومناه

### ترجمة صاحب متن السنوسية

مأخوذة عن الأستاذ سعيد عبداللطيف فودة (تهذيب شرح السنوسية - أُم البراهين) ص 19-15:  
اسمها ونسبة :

هو الإمام محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، وبلقب السنوسي اشتهر، نسبة لقبيلة بالمغرب، ويُلقب أيضاً بالحسني نسبة للحسن بن علي أبي طالب من جهة أم أبيه .

وهو تلمساني أيضاً نسبة إلى بلدة تلمسان .

وهو عالم تلمسان وصالحها وزادها وكثير علمائها الشيخ العلامة المتقن الصالح الزاحد العابد الأستاذ المحقق الخاشع أبو يعقوب يوسف .

كان مولده بعد الثلاثين وثمانمائة.

مشايشه ودراسته :

نشأ الإمام السنوسي خيراً مباركاً فاضلاً صالحاً .

أخذ عن جماعة منهم، والده المذكور، والشيخ العلامة نصر الزواوي والعلامة محمد بن توزت، والسيد الريفي أبو الحاج يوسف بن أبي العباس بن محمد الشريف الحسني، وقد أخذ عنه القراءات، وعن العالم المعدل أبي عبد الله الحباب علم الاصطراط، وعن الإمام محمد العباس الأصولي والمنطق، وعن الفقيه الجلاب الفقه وعن الولي الكبير الصالح الحسن أبا رakan الرشدي حضر عنده كثيراً وانتفع به وببركته، وكان يحبه ويؤثره ويدعوه له، فحقق الله فيه فراسته ودعوته.

ومن الفقيه الحافظ أبي الحسن التلولي أخيه لأمه الرسالة، وعن الإمام الورع الصالح أبي القاسم الكتابي إرشاد أبي المعالي والتوحيد هن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد التعلبي الصحاحين وغيرهما من كتب الحديث، وأجازه ما يجوز له. وعن الإمام العالِم العلَّام العلَّام الولي الزاحد الناصح إبراهيم التازري أليسه الخرقة وحدثه بها عن شيوخه، وروى عنه أشياء كثيرة من المسلسلات وغيرها

ومن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض والحساب. وأجازه جميع ما يرويه. وغيرهم .  
وكان آية في علمه ودينه وصلاحه وسيرته وزده وورعه وتوقيه .

مكانته العلمية وسيرته :

له في العلوم الظاهرة أو في نصيب، جمع من فروعها وأصولها السهم والتعصي، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيما التوحيد والمعقول، شارك فيها غيره وانفرد بعلوم الباطن بل زاد على الفقهاء مع معرفة حل المشكلات سيما التوحيد. كان لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه علوم الآخرة سيما التفسير والحديث لكثرة مراقبته لله تعالى كأنه يشاهد الآخرة . قال تلميذه الملاي: « سمعته يقول:

ليس من علم من علوم الظاهر يورث معرفته تعالى ومرأبته إلا التوحيد، وبه يفتح في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته يزداد خوفه « اه .

وانفرد بمعرفته التوحيد إلى الغاية، وكتبه التي ألفها في العقائد كافيه خصوصاً الصغرى » أُم البراهين « لا يعادلها شيء من العقائد. وكان حليماً كثير الصبر ربما يسمع ما يكره فيتعامي عنه ولا يؤثر فيه، بل يبتسم وهذا شأنه في كل ما يغضبه، ولا يلقي له بالاً بوجهه، ولا يحقد على أحد، ولا يعيس في وجه أحد. يفتح من تكلم في عرضه بكلام طيب وإعظام حتى يعتقد أنه صديقه . قال الملاي تلميذه. سمعته يقول:

« ينبغي للإنسان أن يمشي برفق وينظر أمامه لئلا يقتل دابة في الأرض . »

وإذا رأى من يضرب دابة ضربا عنيفا تغير وقال لضاربها:

«ارفق يا مبارك .»

وينهي المؤذبين عن ضرب الصبيان.

قال الملاي: وسمعته يقول :

«الله تعالى مائة رحمة لا مطعم فيها إلا لمن اتسم برحمة جميع الخلق وأشفق عليهم.»

وفاته :

ولما أحس بمرض موته انقطع عن المسجد ولازم فراشه، حتى مات، ومرض عشرة أيام ولما احضر لقنه ابن أخيه مرة بعد مرأة،

فالتفت إليه وقال له:

«وهل ثم غيرها.»

وقالت له بنته:

«تمشي وتتركني .. !

فقال لها :

«الجنة مجمتنا عن قرب إن شاء الله تعالى .»

وكان يقول عند موته :

«نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها .»

وتوفي يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة عام خمس وسبعين وثمانمائة، وشم الناس المسك بنفس موته رحمه الله.

قال تلميذه الملاي:

«وأخبرني قبل موته بنحو عامين أن سنه خمس وخمسون سنة ». ق

التبني في « نيل الابتهاج »:

ورأيت مقيدا عن بعض العلماء أنه سأله الملاي المذكور عن سن الشيخ، فقال له: مات عن ثلاثة وستين سنة

والله أعلم.

كتبه ومؤلفاته :

وأما تأليفه، فقال الملاي:

منها شرح الكبير على الحوافية المسمى المقرب المستوفى، كبير الجرم كثير العلم، ألفه وهو ابن تسعه عشر عاما، ولما وقف عليه شيخه الحسن أبركان، تعجب منه وأمره بإخفائه حتى يكمل سنه أربعين سنة لثلا يصاب بالعين، ويقول له: لا نظير له فيما أعلم ودعا مؤلفه .

وعقيدته الكبرى سماها عقيدة أهل التوحيد في كراريس من القالب الرياعي أول ما صنفه في الفن، ثم شرحها، ثم الوسطى وشرحها في ثلاثة عشر كراسا.

قلت: وهذه العقيدة عليها شرح جيد للشيخ عليش، وعلى شرح السنوسى لها حاشية جليلة القدر للشيخ يس.

ثم الصغرى( ) وشرحها في ست كراريس وهي من أجل العقائد، لا تعادلها عقيدة، كما أشار إليه هو في شرحه عليها، قال الشيخ:

«لا نظير لها فيما علمت تكفي من اقتصر عليها عن سائر العقائد .»

أقول الحق ما قاله، فإن كل من قرأ هذا المتن انفع بما فيه، واهتدى إلى الحق الصريح، في أقل زمان.

وعقيدته المختصرة أصغر من الصغرى وشرحها في أربع كراريس، وفيه فوائد ونكت. والمقدمات المبينة لعقيدته الصغرى، قريبة منها جرما وشرحها في خمس كراريس .

وشرح الأسماء الحسنى في كراسين، يفسر الاسم، ويدرك حظ العبد منه .

وشرح التسبيح دبر الصلوات، تكلم على حكمته.

وشرح عقيدة الحوضى، خمس كراريس .

وشرحه الكبير على الجزيرية( )، فيه نكت نفيسة .

ومختصر الصحيح مسلم في سفرين فيه نكت حسنة .

وله شرح على صحيح مسلم اسمه « معلم إكمال الإكمال».

وشرح إيساغوجي في المنطق تأليف البرهان البقاعي كثير العلم. ومختصره العجيب فيه زائد على الخونجي، وشرحه حسن جدا .

ومن المعلوم أن متن الخونجي من أدق كتب علم المنطق. وعلى شرح متن السنوسى حاشية جليلة لليجورى.

وشرح قصيدة الحباك في الأصطراط، شرح جليل .

وشرح أبيات الإمام الابيرى في التصوف .

وشرح الأبيات التي أولها « تطهر بماء الغيب ».

وشرحه العجيب على البخارى، وصل فيه إلى باب من استبراً لدینه .

وشرح مشكلات البخارى في كراسين .

ومختصر الزركشى على البخارى.

قال التبكتى في نيل الابتهاج: « وقد وفت على جميع هذه الكتب.»

ثم قال الملاى: ومنها عقيدة أخرى فيها دلائل قطعية يرد على من أثبت تأثير الأسباب العادية كتبها لبعض الصالحين، ومختصر النقازانى على الكشف، وشرح مقدمة الجبر والمقابلة لابن ياسمين.

وشرح جمل الخونجى في المنطق، وشرح مختصر ابن عرفة وفيه حل لصعبته، وقال لي :

«إن كلامه صعب سبما هذا المختصر، تعبت كثيرا في حله لصعبته إلى الغاية، لا أستعين عليه إلا بالخلوة.»

ومنها شرح رجز ابن سينا في الطب، لم يكمل .

ومختصر في القراءات السبع.

وشرح الشاطبية الكبرى لم يكمل .

وشرح الوليسي في الفقه لم يكمل.

ونظم في الفرائض.

واختصار رعاية المحاسبى .

ومختصر الروض الأنف للسهيلي لم يكمل .

ومختصر بغية السالك في أشرف المسالك للساحتى .

وشرح المرشدة والدر المنظوم في شرح الآجرمية.

وشرح جواهر العلوم للع婆婆د في علم الكلام على طريقة الحكماء وهو كتاب عجيب جداً في ذلك إلا أنه صعب متعرس على الفهم جداً.

ومنها تفسير القرآن إلى قوله وأولئك هم المفلحون، في ثلاثة كراريس، ولم يمكن له التفرغ له .

وتفسير سورة « ص » وما بعدها.

قال الملاى: فهذا ما علمت من تأليفه مع ما له من الفتاوى والوصايا والرسائل والمواعظ مع كثرة الأوراد وقضاء الحوائج والإقراء اهـ.

قال التبكتى: سمعت أن له تعليقا على فرعى ابن الحاجب، نفعنا الله به.

تلميذه :

أخذ عنه أعلام، كابن صعد، أبي القاسم الزواوى وابن أبي مدين والشيخ يحيى بن محمد وابن الحاج البىبرى، وابن العباس الصغير،

وولي الله محمد القاعي وريحانة زمانه، وابراهيم الجديجى، وابن ملوكة وغيرهم من الفضلاء.

وبعد فهذه نبذة من سيرة هذا الإمام العطرة، وقطعة من أحواله، ولا شك أنها غير وافية بالقصد، ولكن قد ذكر التبكتى أن تلميذه الملاى جمع في سيرته وأحواله وفوانذه تأليفا كبيرا في نحو ستة عشر كراسا من القالب الكبير، وقال إنه اختصره في جزء في نحو

ثلاثة كراريس، وما ذكره في كتابه نيل الابتهاج إنما هو طرف منه.

ونحن لم ذكر جميع ما ذكره في نيل الابتهاج، بل اختصرناه أيضاً.

نفعنا الله تعالى به وبعلومه أمين . ( )

## متن أُم البراهين

المسمى

بالعقيدة السنوسية الصغرى

للإمام

أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني

رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلمه

آمين

ضبّطت على نسخة الحلبي ونسخة الأستاذ سعيد فودة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

أَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَ الْعَقْلَيَ يَتَحَصَّرُ فِي ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْوُجُوبُ، وَالْإِسْتِحَالَةُ، وَالْجَوَازُ .

فَالْوَاجِبُ: مَا لَا يُصَوِّرُ فِي الْعَقْلِ عَدَمُهُ .

وَالْمُسْتَحِيلُ: مَا لَا يُصَوِّرُ فِي الْعَقْلِ وُجُودُهُ .

وَالْجَائزُ: مَا يَصِحُّ فِي الْعَقْلِ وَجُودُهُ وَعَدَمُهُ .

وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَفَّ شَرْعًا أَنْ يَعْرُفَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ، وَمَا يَسْتَحِلُّ، وَمَا يَجُوزُ .

وَكَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرُفَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

فِمَمَا يَجِبُ لِمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ عِشْرُونَ صِفَةً، وَهِيَ :

الْوَجُودُ .

وَالْقَدْمُ .

وَالْبَقاءُ .

وَمُخَالَفَتُهُ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ .

وَقِيَامَةُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ: أَيْ لَا يَقْنُرُ إِلَى مَحَلٍ، وَلَا مُخَصَّصٌ .

وَالْوَحْدَانِيَّةُ: أَيْ لَا ثَانِي لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ .

فَهَذِهِ سُتُّ صِفَاتٍ :

الْأُولَى نَفْسِيَّةُ، وَهِيَ: الْوَجُودُ .

وَالْحَمْسَةُ بَعْدَهَا سَلْبِيَّةُ .

ثُمَّ يَجِبُ لَهُ تَعَالَى سَبْعُ صِفَاتٍ، تُسَمَّى صِفَاتِ الْمَعَانِي، وَهِيَ :

الْقُدرَةُ، وَالْإِرَادَةُ: الْمُتَعَلَّقُانُ بِجَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ .

وَالْعِلْمُ الْمُتَعَلَّقُ بِجَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ، وَالْجَائزَاتِ، وَالْمُسْتَحِيلَاتِ .

وَالْحَيَاةُ، وَهِيَ: لَا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ .

وَالسَّمْعُ وَالبَصَرُ: الْمُتَعَلَّقُانُ بِجَمِيعِ الْمَوْجُدَاتِ .

وَالْكَلَامُ: الَّذِي لَيْسَ بِهِ حِرْفٌ، وَلَا صَوْتٌ، وَيَتَعَلَّقُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْعِلْمُ مِنَ الْمُتَعَلَّقَاتِ .

ثُمَّ سَبْعَ صِفَاتٍ، تُسَمَّى صِفَاتٍ مَعْنَوِيَّةً، وَهِيَ: مُلَازِمَةُ السَّبْعِ الْأُولَى، وَهِيَ: كُونُهُ تَعَالَى: قَادِرًا، وَمُرِيدًا. وَعَلَيْهَا وَحْيًا، وَسَمِيعًا، وَبَصِيرًا، وَمُنْكِلًا. وَمِمَّا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى عَشْرُونَ صَفَةً، وَهِيَ أَضْدَادُ الْعَشْرِينَ الْأُولَى، وَهِيَ: الْعَدْمُ. وَالْحَدُوثُ. وَطَرْوُ الْعَدْمِ.

وَالْمَمَاثِلَةُ لِلْحَوَادِثِ: بِأَنْ يُكُونَ جَرْمًا: أَيْ تَأْخُذُ ذَاتُهُ الْعُلَيَّةُ قَدْرًا مِنَ الْفَرَاغِ. أَوْ يُكُونَ عَرَضًا يَقُومُ بِالْجُرمِ، أَوْ هُوَ جَهَةٌ، أَوْ يَتَقَيَّدُ بِمَكَانٍ، أَوْ زَمَانٍ، أَوْ تَنَصُّفُ ذَاتُهُ الْعُلَيَّةُ بِالْحَوَادِثِ، أَوْ يَتَصَفَّ بِالصَّغْرِ، أَوْ الْكِبْرِ، أَوْ يَتَصَفَّ بِالْأَغْرَاصِ فِي الْأَفْعَالِ أَوْ الْأَحْكَامِ.

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ لَا يُكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ، بِأَنْ يُكُونَ صِفَةً يَقُومُ بِمَحِلٍ، أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى مُخَصَّصٍ. وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ لَا يُكُونَ وَاحِدًا بِأَنْ يُكُونَ مُرَكَّبًا فِي ذَاتِهِ، أَوْ يُكُونَ لَهُ مَمَاثِلٌ فِي ذَاتِهِ، أَوْ صِفَاتِهِ، أَوْ يُكُونَ مَعَهُ فِي الْوُجُودِ مُؤْثِرٌ فِي فَعْلِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ. وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى الْعَجْزُ عَنْ مَمْكِنٍ مَمْكِنًا، وَإِيجَادُ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ مَعَ كَرَاهِتِهِ لِوُجُودِهِ. أَيْ عَدَمٌ إِرَادَتِهِ لَهُ تَعَالَى أَوْ مَعَ الذُّهُولِ، أَوْ الْعَفْلَةِ، أَوْ بِالْعَلَيْلِ، أَوْ بِالْطَّبْعِ. وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى الْجَهَلُ وَمَا فِيهِ مَعْنَاهُ بِمَعْلُومٍ مَمْكِنًا، وَالْمَوْتُ، وَالصَّمَمُ، وَالْعَمَى وَالْبَكْمُ. وَأَضْدَادُ الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَاضْسِخَةُ مِنْ هَذِهِ.

وَأَمَّا الْجَائزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى: فَفَعْلٌ كُلُّ مَمْكِنٍ أَوْ تَرْكُهُ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجَوْدَهِ تَعَالَى: فَحَدُوثُ الْعَالَمِ، لَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُحْدِثٌ بِلْ حَدَثٌ بِنَفْسِهِ لَزَمَ أَنْ يُكُونَ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَسَاوِيْنِ مُسَاوِيًّا لِصَاحِبِهِ رَاجِحًا عَلَيْهِ بِلَا سَبَبٍ وَهُوَ مَحَالٌ.

وَدَلِيلُ حَوْثِ الْعَالَمِ مُلَازِمَةُ الْأَعْرَاضِ الْحَادِثَةِ مِنْ: حَرْكَةٍ، أَوْ سُكُونٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَمُلَازِمُ الْحَادِثِ حَادِثٌ.

وَدَلِيلُ حَوْثِ الْأَعْرَاضِ مَسْاهَدَةُ تَغْيِيرِهَا مِنْ عَدَمٍ إِلَى وُجُودٍ، وَمِنْ وُجُودٍ إِلَى عَدَمٍ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجَوْبِ الْقُدْمِ لَهُ تَعَالَى: فَلَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا، لَكَانَ حَادِثًا فَيَقُولُ إِلَى مُحْدِثٍ، فَيَلْزَمُ الدُّورُ، أَوْ التَّسْلِيسُ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجَوْبِ الْبَقَاءِ لَهُ تَعَالَى، فَلَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَلْحَقَهُ الْعَدَمُ، لَأَنْتَقَيَ عَنْهُ الْقُدْمَ لِكُونِ وَجُودِهِ حِينَئِذٍ جَائزًا لَا وَاجِبًا، وَالْجَائزُ لَا يَكُونُ وَجُودُهُ إِلَّا حَادِثًا، كَيْفَ! وَقَدْ سَيَقَ قَرِيبًا وَجَوْبُ قَدْمِهِ تَعَالَى وَبَقَائِهِ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجَوْبِ مُخَالَفَتِهِ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ: فَلَأَنَّهُ لَوْ مَا تَلَى شَيْئًا مِنْهَا، لَكَانَ حَادِثًا مِنْهَا، وَذَلِكَ مَحَالٌ لِمَا عَرَفَتَ قَبْلَ مَنْ وَجَوبَ قَدْمِهِ تَعَالَى وَبَقَائِهِ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجَوْبِ قِيَامِهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ: فَلَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا لَزَمَ أَنْ لَا يُوجَدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ لِلرُّوْمِ عَجْزَهِ حِينَئِذٍ.

وَمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ يَجِبُ اتِّصَافُهُ بِهِمَا فَلَيْسَ بِصِفَةٍ. وَلَوْ احْتَاجَ إِلَى مُخَصَّصٍ لِكَانَ حَادِثًا، كَيْفَ! وَقَدْ قَامَ الْبُرْهَانُ عَلَى وَجَوبِ قَدْمِهِ تَعَالَى وَبَقَائِهِ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجَوْبِ الْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ تَعَالَى: فَلَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا لَزَمَ أَنْ لَا يُوجَدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ لِلرُّوْمِ عَجْزَهِ حِينَئِذٍ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجَوْبِ الْأَنْصَافِيَّةِ تَعَالَى بِالْفَدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ: فَلَأَنَّهُ لَوْ اتَّقَى شَيْئًا مِنْهَا لَمَّا وَجَدَ شَيْئًا مِنَ الْحَوَادِثِ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وَجَوْبِ السَّمْعِ لَهُ تَعَالَى وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ: فَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ، وَأَيْضًا لَوْ لَمْ يَتَصَفَّ بِهَا لَزَمَ أَنْ يَتَصَفَّ بِأَضْدَادِهَا، وَهِيَ نَفَاقُصُ، وَالنَّفَاقُ عَلَيْهِ تَعَالَى مَحَالٌ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ كُونِ فِعْلِ الْمُمْكِنَاتِ أَوْ تَرْكِهَا حَائِزًا فِي حَقِّهِ تَعَالَى: فَلَأَنَّهُ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَى شَيْئًا مِنْهَا عَقْلًا، أَوْ اسْتَحْالَ عَقْلًا لَا نُقْلَبَ الْمُمْكِنُ وَاجِبًا أَوْ مُسْتَحِيلًا، وَذَلِكَ لَا يُعْقَلُ.

وَأَمَّا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ وَالسَّلَامُ :

فَيَجِبُ فِي حَقِّهِمُ الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ وَتَبْليغُ مَا أَمْرُوا بِتَبْليغِهِ لِلْخُلُقِ .

وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِمُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَضْدَادُ هَذِهِ الصَّفَاتِ، وَهِيَ: الْكُنْبُ وَالْخِيَانَةُ بِفَعْلِ شَيْءٍ مَمَّا نَهَا نَهْيَ تَحْرِيمٍ أَوْ كَرَاهَةٍ، أَوْ كِتْمَانُ شَيْءٍ مَمَّا أَمْرُوا بِتَبْليغِهِ لِلْخُلُقِ .

وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا هُوَ مِنَ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي لَا تُؤْدِي إِلَى نَفْصُ فِي مَرَاتِبِهِمُ الْعُلَيَّةِ؛ كَلْمَرَضٍ وَنَحْوِهِ .

أَمَّا بِرْهَانُ وُجُوبِ صِدْقِهِمُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَلَا لَهُمْ لَوْلَمْ يَصْدُفُوا لِلْزَمِ الْكُنْبُ فِي خَيْرِهِ تَعَالَى لِتَصْدِيقِهِ تَعَالَى لَهُمْ بِالْمَعْجَزَةِ النَّازِلَةِ مَنْزِلَةَ قَوْلِهِ تَعَالَى: صِدْقَ عَبْدِيِّ فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِي .

وَأَمَّا بِرْهَانُ وُجُوبِ الْأَمَانَةِ لَهُمُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَلَا لَهُمْ لَوْلَمْ يَفْعُلُوا بِفَعْلِ مُحَرَّمٍ، أَوْ مَكْرُوهٍ، لَا نَفْلَبَ الْمُحَرَّمٍ، أَوْ الْمَكْرُوهُ طَاعَةً فِي حَقِّهِمُ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْرَنَا بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَلَا يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِفَعْلِ مُحَرَّمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ. وَهَذَا بِعِينِهِ هُوَ بِرْهَانُ وُجُوبِ الْثَالِثِ .

وَأَمَّا دَلِيلُ جَوَارِ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَيْهِمُ: فَمُشَاهَدَةُ وَفُوْعَاهَا بِهِمْ: إِمَّا لِتَعْظِيمِ أَجُورِهِمْ أَوْ لِلتَّشْرِيعِ أَوْ لِلتَّنْبِيهِ لِخَسَّةِ قُدْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَدَمِ رِضَاهَا بِهَا دَارَ جَزَاءُ لِأَنْبَيَانِهِ وَأُولَيَّاهُ بِاعْتِنَارِ أَحْوَالِهِمْ فِيهَا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَيَجْمُعُ مَعَانِي هَذِهِ الْعَقَائِدِ كُلُّهَا قَوْلُ:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ

إِذْ مَعْنَى الْأَلْوَهِيَّةِ: اسْتَغْنَاءُ الْإِلَهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَافْتِنَارُ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَيْهِ .

فَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَا مُسْتَغْنَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَمُفْقَرًا إِلَيْهِ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

أَمَّا اسْتَغْنَاؤُهُ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَهُوَ يُوجُبُ لَهُ تَعَالَى: الْوُجُودُ، وَالْقُدْمُ، وَالْبَقَاءُ، وَالْمَخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ، وَالْقِيَامُ بِالنَّفْسِ، وَالْتَّنْزُهُ عَنِ النَّفَاقِصِ .

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ وُجُوبُ السَّمْعِ لِهِ تَعَالَى وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ، إِذْ لَوْلَمْ تَجِبْ لَهُ هَذِهِ الصَّفَاتُ لَكَانَ مُحْتَاجًا إِلَى الْمُحَدِّثِ، أَوْ الْمَحَلِّ، أَوْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ النَّفَاقِصَ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ تَنْزُهُهُ تَعَالَى عَنِ الْأَعْرَاضِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَإِلَّا لَرَمَ افْقَارًا إِلَى مَا يُحَصِّلُ غَرَضَهُ، كَيْفَ! وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضًا: أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَالَى فَعْلُ شَيْءٍ مِنَ الْمُكَنَّاتِ عَقْلًا وَلَا تَرْكُهُ، إِذْ لَوْلَمْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَى شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلًا كَالثَّوَابِ مَثَلًا، لَكَانَ جَلَّ وَعَزَّ مُفْقَرًا إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ لِيُتَكَمَّلَ بِهِ غَرَضُهُ، إِذْ لَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى إِلَّا مَا هُوَ كَمَالُهُ، كَيْفَ! وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ الْغَنِيُّ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

وَأَمَّا افْقَارُ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَزَّ فَهُوَ يُوجُبُ لَهُ تَعَالَى الْحَيَاةُ، وَعُمُومُ الْقُرْبَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ، إِذْ لَوْلَمْ يَنْتَفِعَ شَيْءٌ مِنْهَا لَمَّا أَمْكَنَ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَادِثِ فَلَا يَنْتَفِعُ إِلَيْهِ شَيْءٌ، كَيْفَ! وَهُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ إِلَيْهِ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

وَيُوجُبُ لَهُ تَعَالَى أَيْضًا: الْوَحْدَانِيَّةُ، إِذْ لَوْلَمْ كَانَ مَعْهُ ثَانٍ فِي الْأَلْوَهِيَّةِ لَمَا افْقَرَ إِلَيْهِ شَيْءٌ لِلزُّومِ عَجْزِهِمَا حِينَئِذٍ، كَيْفَ! وَهُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ إِلَيْهِ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضًا: حُدُوثُ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، إِذْ كَانَ شَيْءٌ مِنْهُ قَدِيمًا لَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مُسْتَغْنِيًّا عَنْهُ تَعَالَى، كَيْفَ! وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَنْتَفِعُ إِلَيْهِ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضًا: أَنَّهُ لَا تَأْتِي لِشَيْءٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ فِي أَثْرِ مَا، وَإِلَّا لَرَمَ أَنْ يَسْتَغْنَى ذَلِكَ الْأَثْرَ عَنْ مُولَانَا جَلَّ وَعَزَّ، كَيْفَ! وَهُوَ الَّذِي يَقْنَطُرُ إِلَيْهِ كُلِّ مَا سِوَاهُ عَمُومًا .

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، هَذَا إِنْ قَدِرْتَ أَنْ شَيْئًا مِنَ الْكَائِنَاتِ يُؤْثِرُ بَطْبَعَهُ، وَأَمَّا إِنْ قَرْتَهُ مُؤْثِرًا بَقَوْةً جَعَلَهَا اللَّهُ فِيهِ كِمَيْزُ عُمَّهُ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهَلَةِ فَذَلِكَ مَحَالٌ أَيْضًا، لَأَنَّهُ يَصِيرُ حِينَئِذٍ مُولَانَا جَلَّ وَعَزَّ مُفْقَرًا فِي إِيجَادِ بَعْضِ الْأَفْعَالِ إِلَى وَاسِطَةِ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ لِمَا عَرَفْتَ مِنْ وُجُوبِ اسْتَغْنَائِهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

فَقْدَ بَانَ لَكَ تَضْمِنُ قَوْلًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِلْأَقْسَامِ الْثَّلَاثَةِ الَّتِي يَجْبُ عَلَى الْمُكَافَفِ مَعْرِفَتِهَا فِي حَقِّ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ، وَهِيَ: ما يَجْبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَمَا يَسْتَحِيلُ، وَمَا يَجُوزُ .

وَأَمَّا قَوْلُنَا مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُ الْإِيمَانُ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكُتُبَ السَّمَوَيَّةَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، لَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَاءَ بِتَصْدِيقِ جَمِيعِ ذَلِكَ كُلِّهِ .

وَيُؤْخُذُ مِنْهُ: وُجُوبُ صِدْقِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَاسْتِحَالَةُ الْكَذِبِ عَلَيْهِمُ، وَإِلَّا مَنْ يَكُونُوا رُسُلاً أَمْنَاءَ لِمَوْلَانَا الْعَالَمِ بِالْخَفَّيَاتِ جَلَّ وَعَزَّ .

وَاسْتِحَالَةُ فِعْلِ الْمُنْهَيَاتِ كُلَّهَا لَأَنَّهُمْ أَرْسَلُوا لِيَعْلَمُوا النَّاسَ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَأَفْعَالِهِمْ وَسُكُونِهِمْ، فَيُلَازِمُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي جَمِيعِهَا مُخَالَفَةٌ لِأَمْرِ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ الَّذِي اخْتَارَهُمْ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَأَمْنَهُمْ عَلَى سُرُورِهِ .

وَيُؤْخُذُ مِنْهُ: جَوَازُ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَيْهِمُ، إِذْ ذَاكُ لَا يَقْدُحُ فِي رِسَالَتِهِمْ، وَغَلُوْ مُنْزَلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِلِذَاكِ مَا يَزِيدُ فِيهَا .

فَقْدَ بَانَ لَكَ تَضْمِنُ كَلْمَتِي الشَّهَادَةِ مَعَ فَلَةٍ حُرُوفِهَا لِجَمِيعِ مَا يَجْبُ عَلَى الْمُكَافَفِ مَعْرِفَتِهِ مِنْ عَقَائِدِ الإِيمَانِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَفِي حَقِّ رَسُولِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَلَعْلَهَا لَا خِتَّارَهَا مَعَ اشْتِمَالِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ جَاءَهَا الشَّرْعُ تَرْجِمَةً عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ مِنِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَيْهِمْ إِلَّا بِهَا .

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُكَثِّرَ مِنْ ذِكْرِهَا مُسْتَحْسِرًا لِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَقَائِدِ الإِيمَانِ حَتَّى تَمْتَرَجَ مَعَ مَعْنَاهَا بِلَحْمِهِ وَدِمْهِ، فَإِنَّهُ يَرَى لَهَا مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْعَجَائِبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَالَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ لِرَبِّ غَيْرِهِ، وَلَا مَغْبُودُ سُوَادُ .

نَسَأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا وَأَحِبَّنَا عَنْ الدُّوَّمِ نَاطِقِينَ بِكَلْمَةِ الشَّهَادَةِ عَالَمِينَ بِهَا .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كُلَّمَا ذَكَرَهُ الْذَّاكِرُونَ، وَغَفَلَ عَنْ ذَكْرِهِ الْغَافِلُونَ .

وَرَضَى اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ أَجْمَعِينَ وَالثَّالِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

تم متن السنوية في علم التوحيد  
(منقول عن منتدى الاصلين)